رحلة هذا العام الى القسطنطينية

(١)

رحلت في العام الماضي — وهو العام الاول للدستور — الى الديار السورية لصلة الرحم التي قطعها الاستبداد عليّ احدى عشرة سنة، ولاختبار حال البلاد، بعد ما عائت به فيها حكومة الاستبداد، وللوعظ والارشاد، والحث على الاتفاق والاتحاد، وبيان مزايا الدستور وفوائده، وما يجب على الامة من العمل للتقدم في عهده، وقد نشرت في المنار ملخص تلك الخطب والدروس فعرفها قراؤه

ورحلت في هذا العام — وهو العام الثاني للدستور — الى القسطنطينية عاصمة الدولة لاسعى في أمرين عظيمين أحدهما وهو أجلهما خدمة للدين الاسلامي ولجميع المسلمين وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هي حكومة الدستور القائم على أساس العدل والمساواة ولمصري الامة العثمانية الكبيرين

اما الاول فهو انشاء معهد ديني علمي في العاصمة للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية واخلاقه الفاضلة وعبادته المطهرة للارواح من الفرائض والنوافل كالقيام والصيام وكثرة ذكر الله عز وجل — والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامي الذي يكون وسيلة لسعادة الدنيا والآخرة كالتفسير والحديث والتوحيد وحكمة التشريع والاخلاق والسيرة النبوية الشريفة وتاريخ الاسلام وأصول الفقه وفروعه ووسائل ذلك من اللغة وفنونها وكالفنون الرياضية والطبيعية والصحية والاقتصادية التي هي وسائل عمران الدنيا وتقوية الملة والدولة

من منافع المعهد الاسلامي تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها ينبوعا للاسلام وكعبة معنوية لطلاب علومه وآدابه . ومنها تخريج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذي كان يدافع به الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) مثل (رنان) و(هانوتو) وما أشد الحاجة الى مثل هذا الدفاع في عهد الحرية

والدستور - ومنها تخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للامة الذين يقومون بما فرضه الله تعالى على المسلمين من الدعوة والارشاد وحرمه عليهم من التفرق في مثل قوله عز وجل (٣:١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وأقرب فوائد المرشدين ارسالهم الى البلاد التي فشا فيها الجهل وكثرت المشاغب (كاليمن والعراق والافاضول) للوعظ والارشاد الذي ينفر عن الشرور والفتن ، والفواحش ماظهر منها وما بطن ، ويرغب في البر والتعاون بين جميع أهل الوطن ، والاخلاص للدولة العلية في السر والعلن ، وتعليم أحكام الدين بأسلوب يكون في منتهى السهولة ، مع مبادي حفظ الصحة والثروة ، فهؤلاء الوعاظ الذين يمكن تخريج طائفة منهم في مدة أربع سنين أو خمس سنين هم الذين يطهرون البلاد بتأثير الدين من الثورات والقلاقل ، ويؤلفون بين جميع الطوائف والعناصر ، ويفعلون بالتصرف في القلوب والسرائر ، مايعجز عن بعضه من لا تأثير لهم الا في الظواهر ، كأصحاب الجرائد والحكام والعساكر ،

ليس الغرض الذي أسعى اليه أن تكون الحكومة العثمانية هي التي تنشيء هذا المعهد الاسلامي فإن الحكومات تعجز عن مثل هذه الاعمال ، وان كانت قادرة على بذل المال واستخدام الرجال ، لان الحكام رسميون في أعمالهم كلها رسوم لا يمس شيء منها سواد القلوب ، ولان ماتقوم به الحكومة تدخل فيه السياسة والسياسة مادخلت في شيء الا افسدته كما قال الاستاذ الامام ، وانما الغرض ان تقوم بهذا العمل جمعية من محبي الإصلاح العلماء الصلحاء وان تساعدهم الحكومة بما يمكن من الاوقاف الخيرية وبغير ذلك كاستئذان طلاب العلم من الخدمة العسكرية واتخاذ الوعاظ منهم بالمرتبات الشهرية

عرضت هذا المشروع على رئيس حكومتنا الصدر الاعظم حسين حلمي باشا وعلى بعض أعضاء وزارته وعلى بعض الكبراء والعلماء هنا ، منهم محمود شوكت باشا وعلى بعض أعضاء مجلس الامة العمومي من الاعيان والمبعوثين وعلى غير رجال جمعية الاتحاد والترقي فكلهم أظهروا الاعجاب به والاعتراف بفوائده منافعه وشدة الحاجة اليه وقال بعضهم إنه فكر في مثله من قبل ، وكذلك قال من ذاكرته فيه بعض

وسورية وقد وعدت بالمساعدة الممكنة من كثيرين وسأبين ذلك في وقته ان شاء الله تعالى

وأما الامر الثاني الذي سعيت اليه فهو ازالة ما وقع أخيرا من سوء التفاهم بين عنصري الدولة الاكبرين ـ العرب والترك ـ وقد شرحت هذا في مقال مطول مؤلف من ست نبذ أو فصول نشرت في جريدة (إقدام) مترجمة بالتركية فصادفت استحسانا عند فضلاء الترك. وسيراه قراء المنار مجموعا في الجزئين الاخيرين ـ ١١ و ١٢

المشهور عندنا عن ساسة الترك انهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية في جزيرتهم وان هذا الخوف قديم فيهم ولكن أليس قد مرت القرون ولم تظهر من زعمائهم الدعوة الى ذلك حتى في الازمنة الاخيرة التي كاد اليأس من الدولة يستولي فيها عليهم؟ بلى! فأي حجة لهم على استمرار هذا الخوف والحذر وبناء الاعمال عليه وكثرة الكلام فيه؟

يقول بعضهم ان هذا غير ممكن ولذلك لم يتشبثوا به ولم يحاولوا تنفيذه ونرد عليهم بأن العرب اذا كانوا يعلمون ان هذا غير ممكن فكيف يريدونه والارادة لا تتعلق بالمحال كما هو معلوم واذا كانوا لا يعلمونه فلماذا لم يسعوا اليه سعيه؟

هذه وساوس وأوهام يجب أن لا تذكر ولا يبنى عليها قول ولا عمل في هذا العصر لئلا يصير الوهم حقيقة!. وان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معي على وجوب تدارك ما قوي الآن من سوء التفاهم ولما جئت الاستانة رأيت كثيرا من عقلاء الترك يميلون الى هذا ولكن العقلاء من الفريقين يرتابون في سياسة بعض الزعماء في العاصمة!

بلغ من سوء ظن بعض ساسة الترك بالعرب ما أشرنا الى بعضه في المقالات التي نشرناها هنا مترجمة بالتركية ولاسيما مسألة الشام. وهناك أمور كثيرة لم نكتب فيها شيئا كاهتمام الكثير بن بحج الخديو، وما يتعجب المصريون من ادخاله في باب السياسة كحضور عزت العابد دعوة الشيخ علي يوسف اليوم الاربعين لابنته الجديدة، وبلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لي اكثر من واحد من أذكيائهم وأهل الرأي فيهم بمصر والاستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقي لا يقدرون عشرة على الاصلاحيين حق قدرها ولا يعرفون لأي قيمة الخلاف [illegible]

فيها لانك عربي ... فلما رأيت من عناية بعض الوزراء ولا سيما رئيسهم الصدر الاعظم وعناية كبراء رجال الجمعية ما رأيت وسمعت من الوعود المؤكدة منهم ما سمعت ذكرت ذلك لبعض الظانين ظن السوء فقالوا ان الاعمال بالخواتيم وستري هل أنت المخطئ أم نحن المصيبون ، وإني لارجو أن تطيش هذه الاوهام بما أنتظر من محاسن الاعمال ، وعلى الله الاتكال في تصديق الآمال

صاحب جريدة وطن الهندية وتفسير القرآن

جرى ذكر صاحبنا (مولوي محمد إنشاء الله) صاحب جريدة (وطن) الهندية في بعض المجالس فرأيت القوم يسيئون به الظن فذكرت لهم ما أعرف من فضله وغيرته على الاسلام ودولته وأهله ، حتى انني ذكرت للصدر الاعظم ولبعض الكبراء وأصحاب الجرائد انه لم يدفعه الى جمع تلك الاموال الكثيرة للسكة الحجازية إلا غيرته وان من دلائل غيرته الدينية انه كتب الي قبل الدستور كتابا قال فيه ان هذا التفسير الذي تنشرونه في المنار هو أنفع ما كتب للمسلمين وانه لا شيء يرشدهم الى ما يحييهم مثله فأقترح عليكم أن تتركوا كل عمل وتصرفوا همتكم الى إتمامه وأنا أرتب على نفسي مساعدة مالية أقدمها لكم في كل شهر إلى أن يتم التفسير. هذا معنى ما كتبه فأجبته بأني لا أقبل على خدمة الدين مالا من أحد وأنني أجتهد في إتمام التفسير ما استطعت . فكتب إلي ثانيا يشكر لي ذلك ويطلب الاشتراك بعدة نسخة من كل جزء يصدر من التفسير يجلده ويوزع على المساجد في البلاد العربية لاجل أن يرشد الخطباء والمدرسون الامة به ، ويطلب أيضا أن يرسل اليه عدة نسخ من كل جزء لاجل أن ينشرها في الهند ويبيعها لنا . وقد أرسل عدة حوالات مالية من ثمن النسخ التي اشترك فيها

ذكرت هذا للصدر الاعظم ولغيره فأعجبوا بفضل الرجل وغيرته وترجح عندهم صدق قولي في إخلاصه في ... شأن الانقلاب العثماني وتحريرهم الايام أكثر من ذلك فقد نظر الناس كلهم اصلاح مشكوة الدستورية للدولة العلية مع محافظتها على الدين الذي يتخذه نظام الخلافة الاسلامية على ما قرره القانون الاساسي